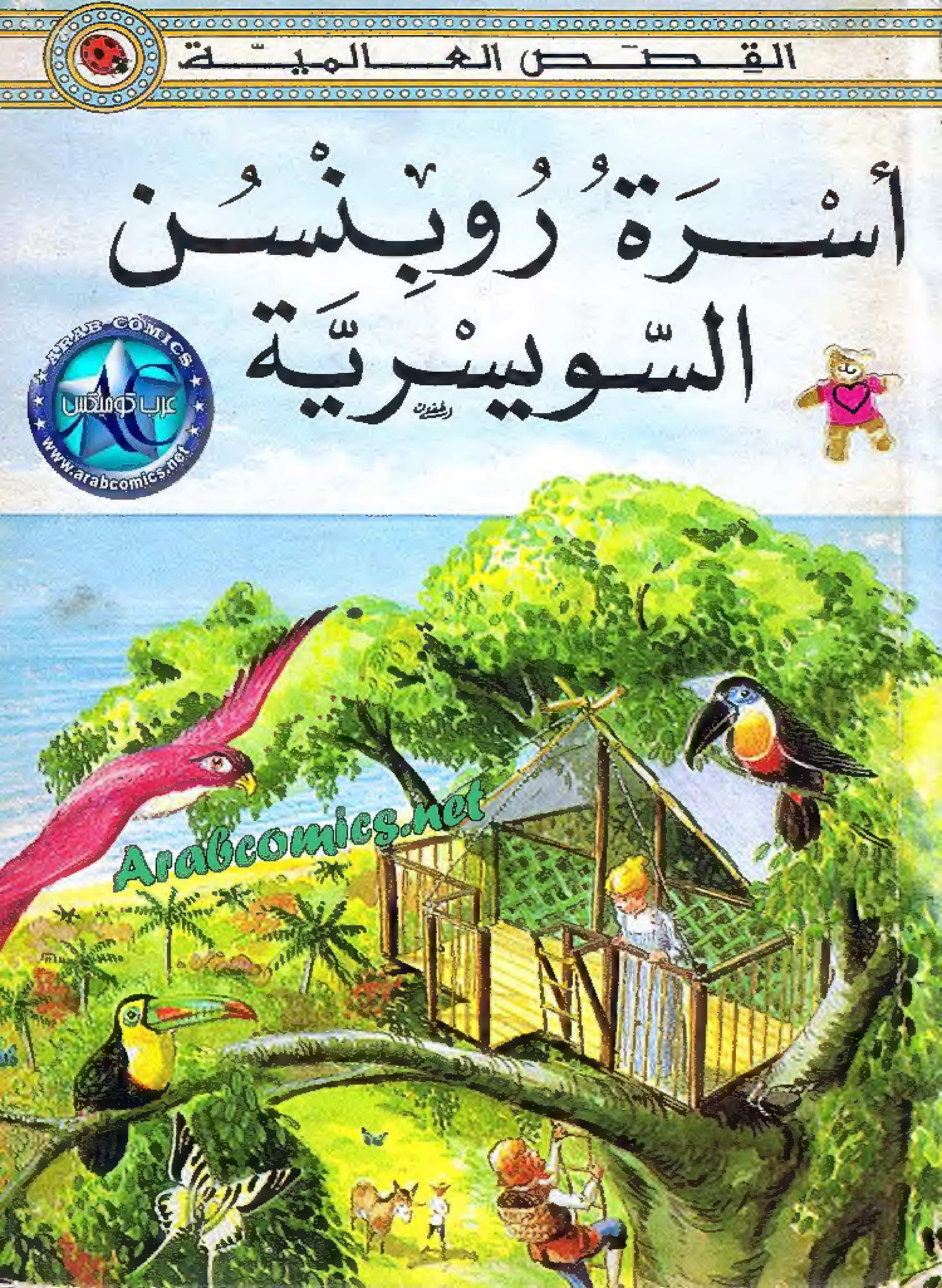

القصص العالمية
أسرة روبنسن السويسرية
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net
Arabcomics.net



يُوهان رودُلْف ڤيس (١٧٨١ – ١٨٣٠)

كاتِبٌ سُويسْرِيٌّ وأُسْتاذُ الفَلْسَفَةِ في جامِعَةِ بِرْنْ. كَتَبَ قِصَّتَهُ بِاللُّغَةِ الأَلْمانِيَّةِ ونَشَرَها في جُزْءَيْنِ في زُوريخ في عامَي ١٨١٢ و ١٨١٣. وسُرْعانَ ما تَتابَعَتِ التَّرْجَماتُ إلى لُغاتِ العالَمِ المُخْتَلِفَةِ. وقَدْ صَدَرَتِ التَّرْجَمَةُ الإنْكليزِيَّةُ بَعْدَ الطَّبْعَةِ الأَلْمانِيَّةِ بِعامٍ واحِدٍ.

و «أُسْرَةُ روبِنْسُن السّويسرِيَّة» قِصَّةٌ تُصَوِّرُ قُدْرَةَ الإنْسانِ عَلى التَّكَيُّفِ مَعَ الطَّبيعَةِ وقُدْرَتَهُ عَلى شَقِّ طَريقِهِ في الظُّروفِ الصَّعْبَةِ. كَذلِكَ تَرْوي تَرابُطَ أَفْرادِ الأُسْرَةِ الواحِدَةِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ، ووقوفَهُمْ مَعًا في مُواجَهَةِ الحَياةِ، وجَمالَ الحَياةِ العائِلِيَّةِ المُنْسَجِمَةِ. والكِتابُ مَليءٌ بِالمُغامَراتِ المُثيرَةِ في جَوٍّ ساحِرٍ يَزيدُهُ سِحْرًا رَوْعَةُ البَحْرِ وعالَمُ الجُزُرِ والكُهوفِ والأَشْجارِ والحَيَواناتِ. وتُساعِدُ الرُّسومُ المُلَوَّنَةُ عَلى إضْفاءِ جَوٍّ مِنَ السِّحْرِ عَلى أَحْداثِ القِصَّةِ المُثيرَةِ.

سِلْسِلَة «القِصَص العالَمِيَّة»

أُسْرَةُ رُوبِنْسُن السّويسْرِيَّة



أَعَدَّ النَّصَّ العَرَبِيَّ: الدّكتور ألبير مُطْلَق
عَنْ قِصَّةِ: يُوهان ڤيس
رُسُوم: بْرايِن پْرايس توماس

مَكْتَبة لُبْنان



كانَتِ العاصِفَةُ لا تَزالُ تَهُبُّ عَلَيْنا مُنْذُ حَوالى الأُسْبوعِ ، وتَشْتَدُّ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . أَمّا سَفينَتُنا فَقَدْ خَرَجَتْ عَنْ خَطِّ إِبْحارِها ، ورَأَيْنا أَنْفُسَنا تائِهينَ في بَحْرٍ واسِعٍ . فَجْأَةً ، سَمِعْنا بَحّارًا يَصيحُ : «البَرَّ ! البَرَّ ! البَرَّ !» لٰكِنْ في اللَّحْظَةِ نَفْسِها اصْطَدَمَتِ السَّفينَةُ بِصَخْرَةٍ هائِلَةٍ وبَدَأَتْ تَغْرَقُ .

شَعَرْنا أَنَّ فَوْقَ ظَهْرِ السَّفينَةِ حَرَكَةً واضْطِرابًا وسَمِعْنا جَلَبَةً وأَصْواتًا . أَسْرَعْتُ إلى فَوْقُ فَما رَأَيْتُ مِنْ خِلالِ ضَبابِ الرَّذاذِ إِلّا قارِبَ الإِنْقاذِ الأَخيرَ وَهْوَ يَبْتَعِدُ عَنِ السَّفينَةِ ! يا إِلٰهي ، لَقَدْ نَسَوْنا ! اِنْدَفَعْتُ إلى سِياجِ السَّفينَةِ ، وأَخَذْتُ أَصيحُ ، ولٰكِنَّ زَمْجَرَةَ العاصِفَةِ طَغَتْ عَلى صَوْتي .

كانَتِ السَّفينَةُ في هٰذا الوَقْتِ قَدْ عَلِقَتْ بَيْنَ الصُّخورِ ، وزالَ عَنْها خَطَرُ الغَرَقِ . عُدْتُ إلى أُسْرَتي أُهَدِّئُ مِنْ رَوْعِها . وقَضَيْنا اللَّيْلَ نُنْصِتُ إلى العاصِفَةِ الَّتي أَخَذَتْ تَهْدَأُ شَيْئًا فَشَيْئًا . وطَلَعَ عَلَيْنا الصَّباحُ فإذا الرّيحُ ساكِنَةٌ والبَحْرُ هادِئٌ .

ولَمّا كانَتِ الزَّوارِقُ كُلُّها قَدْ تَرَكَتْنا لَمْ يَكُنْ أَمامَنا إِلّا أَنْ نَبْنِيَ واحِدًا . فَتَّشْنا السَّفينَةَ فَوَجَدْنا طَعامًا ومُعَدّاتٍ وأَسْلِحَةً ، بَلْ وَجَدْنا أَيْضًا كَلْبَيْنِ وعَدَدًا مِنْ رُؤوسِ الأَغْنامِ والأَبْقارِ والماعِزِ وعَدَدًا مِنْ طُيورِ الدَّجاجِ . فعُنِيَتْ زَوْجَتي بِإِطْعامِ الحَيَواناتِ ، بَيْنَما بَقِيَ أَوْلادي ، فْرِتْز وإِرْنِسْت وجاك والصَّغيرُ فْرانْسِس ، إلى جانِبي يُعاوِنونَني في بِناءِ طَوْفٍ خَشَبِيٍّ مَحْمولٍ على بَراميلَ .

تَحَرَّكْنا ، في صَباحِ اليَوْمِ التّالي ، بِطَوْفِنا الغريبِ ، وأَخَذْنا نُجَدِّفُ بِبُطْءٍ في اتِّجاهِ الجَزيرَةِ القَريبَةِ . أَسْمَيْنا الجَزيرَةَ سْويسْرا الجَديدَةَ تَيَمُّنًا بِاسْمِ مَوْطِنِنا . وكانَ أَوَّلَ ما لَفَتَ أَنْظارَنا أَشْجارُ النَّخيلِ العالِيَةُ وهي تَتَمايَلُ في الهَواءِ فَوْقَ بِساطٍ مِنَ العُشْبِ الأَخْضَرِ الرَّيّانِ .

سَجَدْنا للهِ وشَكَرْناهُ على أَنْ أَوْصَلَنا سالِمينَ ، ثُمَّ بَدَأْنا نُفْرِغُ حُمولَةَ الطَّوْفِ . بَعْدَها نَصَبْنا خَيْمَةً صَنَعْناها مِنْ قُماشِ شِراعِ السَّفينَةِ . ثُمَّ بَنَيْتُ مِنْ حِجارَةِ الشّاطِئِ مَوْقِدًا وأَشْعَلْتُ نارًا ؛ بَيْنَما



كانَ الأَوْلادُ مُنْهَمِكينَ في جَمْعِ الأَعْشابِ الجافَّةِ والطَّحالِبِ لِتَكونَ فِراشًا لَنا . ووَضَعَتْ زَوْجَتي فَوْقَ المَوْقِدِ قِدْرًا ، وبَدَأَتْ تُعِدُّ لَنا عَشاءً .

ثُمَّ انْطَلَقَ الأَوْلادُ يَسْتَكْشِفونَ المَكانَ . جاك وَجَدَ في إِحْدى البِرَكِ كَرْكَنْدًا هائِلًا أَوْ قُلْ إِنَّ الكَرْكَنْدَ وَجَدَهُ ؛ فَقَدْ أَنْشَبَ أَسْنانَهُ في ساقِ الفَتى ولَمْ يَتْرُكْها إِلّا بَعْدَ أَنْ ضَرَبْتُهُ بِفَأْسي . أَمّا إِرْنِسْت فَقَدْ أَخَذَ يَجْمَعُ المَحارَ مِنْ بَيْنِ الصُّخورِ . وقَدِ اتَّخَذْنا مِنْ أَصْدافِها ، فيما بَعْدُ ، مَلاعِقَ . بَيْنَما حَمَلَ فْرِتْز بُنْدُقِيَّةً وخَرَجَ يَصْطادُ . وعادَ إِلَيْنا بِصَيْدٍ وَفيرٍ ، وبِخَبَرِ انْجِرافِ عَدَدٍ مِنْ صَناديقِ السَّفينَةِ وبَراميلِها إلى خَليجٍ قَريبٍ .



نِمْنا لَيْلَتَنا تِلْكَ نَوْمًا هادِئًا. وفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي خَرَجْنا أنا وفِرِتْزْ نَسْتَكْشِفُ المَكانَ فَوَجَدْنا أَصْنافًا غَريبَةً مِنَ النَّباتاتِ والفاكِهَةِ. كانَ بَعْضُ تِلْكَ الفاكِهَةِ أَشْبَهَ بِثِمارِ الجَوْزِ الكَبيرَةِ؛ فَصَرَفْنا وَقْتًا نَصْنَعُ مِنْها صُحونًا وزُبْدِيّاتٍ.

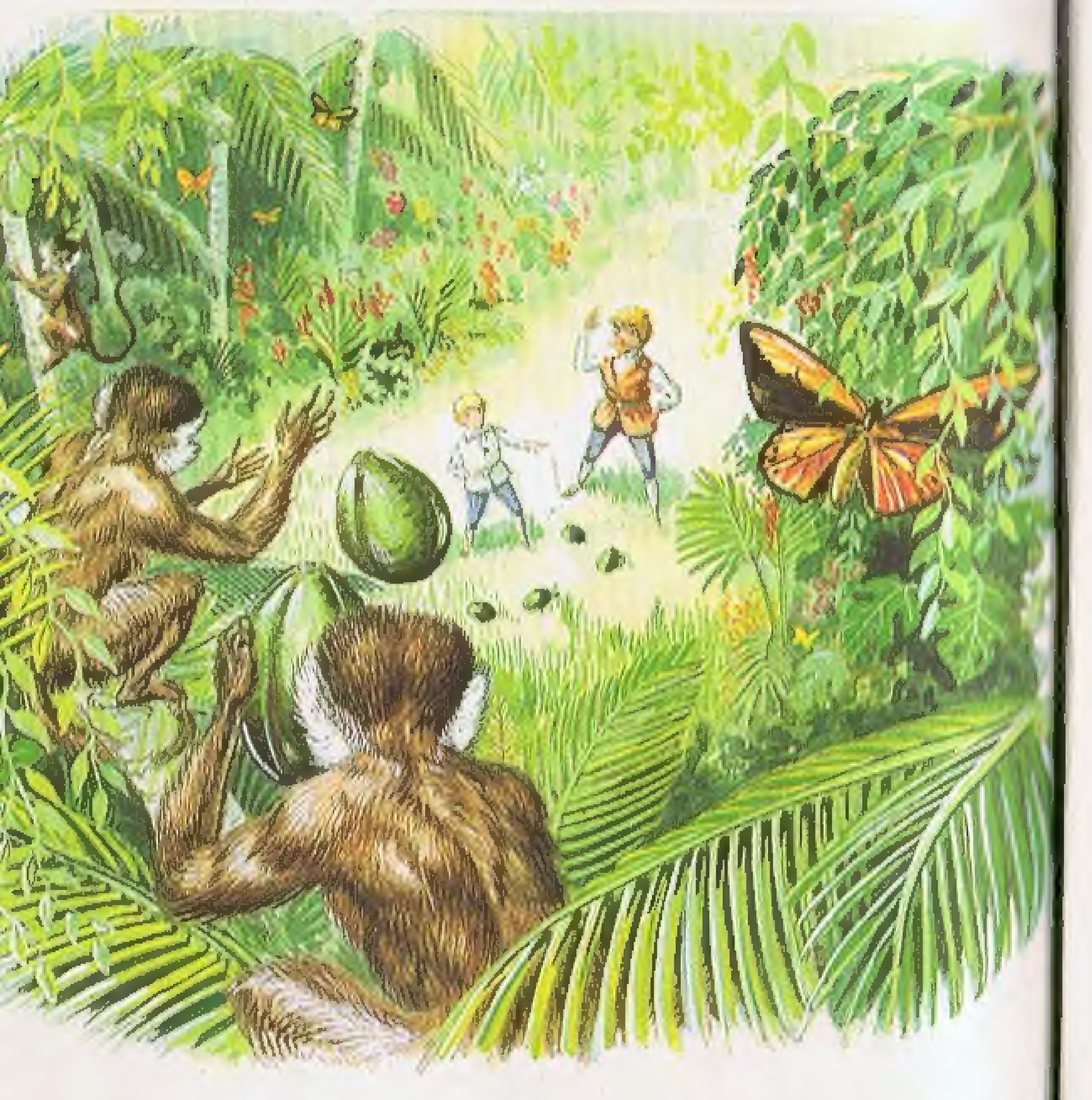
وَصَلْنا في مُنْتَصَفِ النَّهارِ إلى أَعْلى تَلَّةٍ شَديدَةِ الانْحِدارِ، فانْكَشَفَتْ أمامَنا الجَزيرَةُ كُلُّها؛ فَإذا هِيَ جَزيرَةٌ كَبيرَةٌ، أَكْبَرُ بِكَثيرٍ مِمّا كُنّا نَتَوَقَّعُ، غَنِيَّةٌ بِأَنْواعِ النَّباتاتِ والأَشْجارِ المُثْمِرَةِ. فَعَرَفْنا أَنَّنا لَنْ نَكونَ فَريسَةً لِلْجوعِ.

وَاكْتَشَفْنا في أَسْفَلِ التَّلَّةِ مِساحاتٍ واسِعَةً مِنْ قَصَبِ السُّكَّرِ، فَأَخَذْنا نَجْمَعُ مِنْهُ حُزْمَةً كَبيرَةً. وبَيْنَما نَحْنُ مُنْهَمِكانِ في ذٰلِكَ سَمِعْنا صُراخَ قَطيعٍ مِنَ القُرودِ، وَهْيَ تَقْفِزُ فَوْقَ الأَشْجارِ.

فَجْأَةً، خَطَرَتْ بِبالي فِكْرَةٌ. تَناوَلْتُ حَجَرًا ورَمَيْتُ بِهِ القُرودَ، فاهْتاجَتْ وراحَتْ تَرْمينا بِثِمارِ جَوْزِ الهِنْدِ.

الْتَقَطْتُ عَدَدًا مِنَ الثِّمارِ وجَمَعَ فِرِتْزْ حُزْمَةً مِنْ قَصَبِ السُّكَّرِ، وتَوَجَّهْنا إلى الأُسْرَةِ.

وبَيْنَما كُنّا نَعْبُرُ إحْدَى الأَجَماتِ، مَرَرْنا بِقِرْدٍ مَيِّتٍ وإلى جانِبِهِ قِرْدٌ صَغيرٌ مُتَشَبِّثٌ بِهِ. اِنْحَنى فِرِتْزْ يَتَأَمَّلُ المَشْهَدَ المُؤَثِّرَ فَقَفَزَ القِرْدُ الصَّغيرُ فَوْقَ ظَهْرِهِ وتَشَبَّثَ بِشَعْرِهِ تَشَبُّثَ المَذْعورِ، ولَمْ يَتْرُكِ



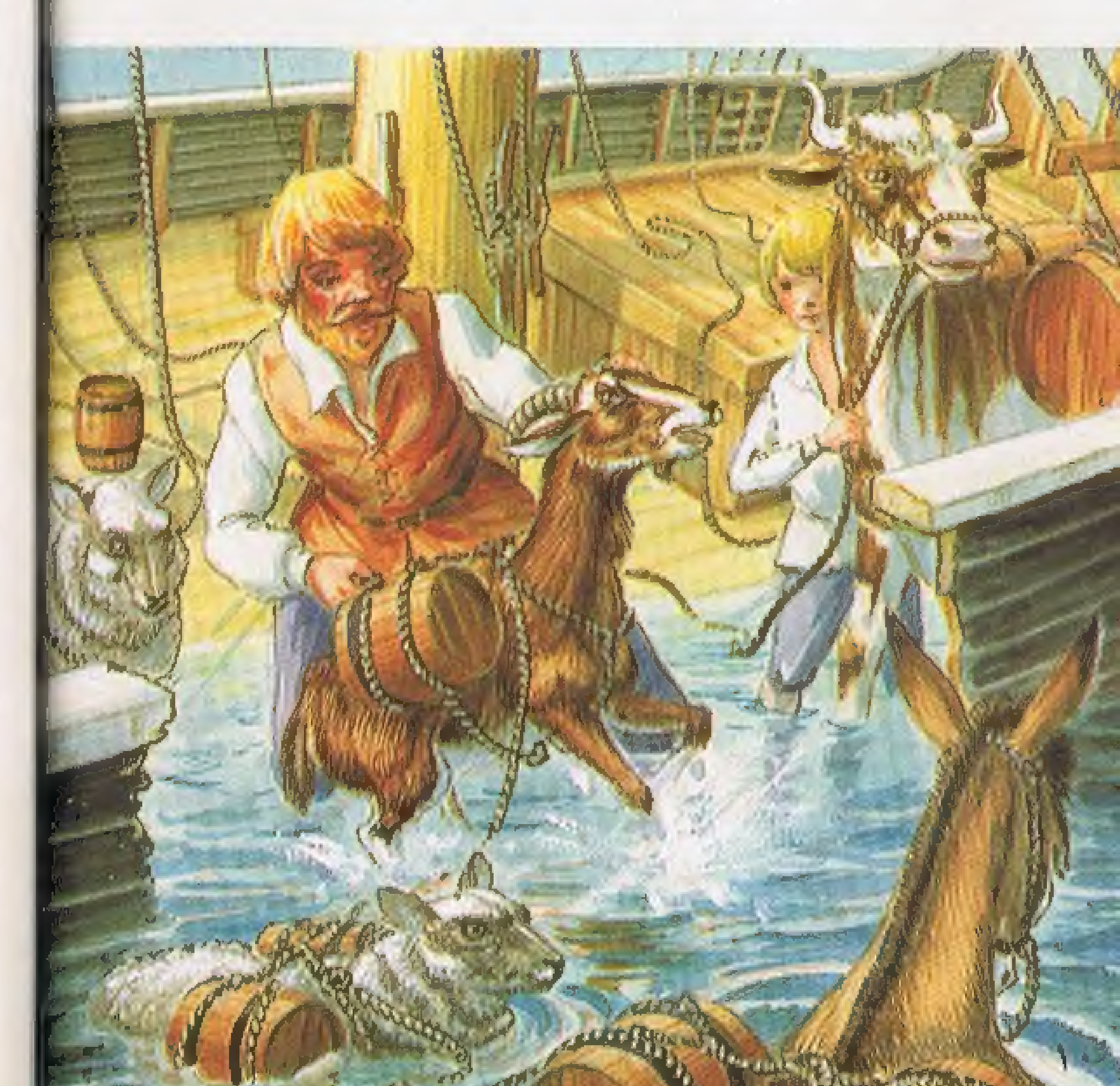
الشَّعْرَ إلّا بَعْدَ أَنْ رَبَّتُّ عَلَيْهِ وهَدَّأْتُ مِنْ رَوْعِهِ.

حَمَلَ فِرِتْزْ القِرْدَ الصَّغيرَ. لٰكِنْ سُرْعانَ ما أَحَسَّ بِالتَّعَبِ لِكَثْرَةِ ما يَحْمِلُ. فأَرْكَبَ القِرْدَ الصَّغيرَ فَوْقَ ظَهْرِ الكَلْبِ، واسْتَأْنَفْنا السَّيْرَ إلى البَيْتِ.

فَرِحَ أَفْرادُ الأُسْرَةِ بِمَا وَجَدْنا مِنْ غِذاءٍ ، وأَحَبُّوا كُلُّهُمُ القِرْدَ الصَّغيرَ.

وكانَتْ زَوْجَتي قَدْ أَعَدَّتْ لَنا طَعامًا شَهِيًّا ، يَتَأَلَّفُ مِنْ طائِرٍ مَشْوِيٍّ كَبيرٍ كانَ فرانْسِس قَدِ اصْطادَهُ ، ومِنْ قِدْرٍ كَبيرَةٍ مِنَ الشوْرَبَةِ اللَّذيذَةِ.

قَرَّرْنا في اليَوْمِ التّالي العَوْدَةَ إلى حُطامِ السَّفينَةِ لِنَسْتَفيدَ مِنَ



الكَثيرِ مِنَ الأَشْياءِ النّافِعَةِ الَّتي كانَتْ لا تَزالُ فَوْقَها. تَوَجَّهْتُ أَنا وفْرِتْز إلى السَّفينَةِ. بَيْنَما بَقِيَتْ زَوْجَتي وأَوْلادي الآخَرونَ عَلى الشّاطِئِ. أَطْعَمْنا الحَيَواناتِ الَّتي كُنّا تَرَكْناها وَراءَنا ، ثُمَّ رُحْنا نُفَتِّشُ السَّفينَةَ مِنْ أَعْلاها إلى أَسْفَلِها. وحَمَّلْنا زَوْرَقَنا حِمْلًا ثَقيلًا حَتّى غاصَ أَكْثَرُه في الماءِ.

سُرْعانَ ما حَلَّ الظَّلامُ ، فبِتْنا لَيْلَتَنا في السَّفينَةِ. وكانَ عَلَيْنا ، في اليَوْمِ التّالي ، أَنْ نُواجِهَ مُشْكِلَةَ نَقْلِ الحَيَواناتِ إلى الشّاطِئِ. فقَدْ كُنّا نَعْرِفُ أَنَّها لَنْ تَتَمَكَّنَ مِنْ قَطْعِ كُلِّ تِلْكَ المَسافَةِ سِباحَةً. وهَدانا تَفْكيرُنا إلى أَنْ نَرْبِطَ إلى الحَيَواناتِ براميلَ خَشَبِيَّةً صَغيرَةً ثُمَّ نَدْفَعَها إلى الماءِ ونَسْحَبَها وَراءَ طَوْفِنا.

بَدَتِ الحَيَواناتُ سَعيدَةً بِوُصولِها إلى الشّاطِئِ. وبَيْنَما كُنْتُ أَنا وفْرِتْز نُجاهِدُ في تَخْليصِها مِنْ براميلِ النَّجاةِ ، كانَتْ زَوْجَتي مُنْهَمِكَةً في إِعْدادِ وَجْبَةٍ هائِلَةٍ مِنْ عُجَّةِ بَيْضِ السَّلاحِفِ. وقَدْ عَثَرَتْ عَلى ذٰلِكَ البَيْضِ في مَكانٍ غَيْرِ بَعيدٍ.

كانَت زَوْجَتي قَدِ اكْتَشَفَتْ في أَثْناءِ غِيابِنا أَشْجارًا ضَخْمَةً عالِيَةً ، فاقْتَرَحَتْ أَنْ نَبْنِيَ بَيْتًا فَوْقَ إِحْدى هٰذِهِ الأَشْجارِ.

أَخَذْنا نَجْمَعُ حَيَواناتِنا ، ونَحْزِمُ أَمْتِعَتَنا اسْتِعْدادًا لِلانْتِقالِ ، واسْتَغْرَقَ ذٰلِكَ مِنّا وَقْتًا طَويلًا.



وَصَلْنا ، فإذا هِيَ أَضْخَمُ ما شاهَدْتُ في حَياتي مِنْ أَشْجارٍ. ولَمَّا كانَ الوَقْتُ مُتَأَخِّرًا لِلْبَدْءِ بِبناءِ بَيْتٍ فَوْقَ الشَّجَرِ فَقَدْ نَصَبْنا شِباكَ نَوْمٍ ، كُنَّا جَلَبْناها مِنَ السَّفينَةِ ، ونِمْنا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فيها.

كانَتْ مُهِمَّتي الأولى ، في اليَوْمِ التّالي ، أَنْ أَصْنَعَ سُلَّمًا ؛ إذْ كانَتْ أَقْرَبُ الأَغْصانِ إلى الأَرْضِ في الشَّجَرَةِ الَّتي اخْتَرْناها مَكانًا لإقامَتِنا تَرْتَفِعُ اثْنَيْ عَشَرَ مِتْرًا. ثُمَّ عَجَّلْتُ بِصُنْعِ قَوْسٍ وسِهامٍ مِنْ سيقانِ نَباتاتٍ خَيْزُرانِيَّةٍ وَجَدْناها هُناكَ. أَعْطَتْني زَوْجَتي بَكَرَةَ خُيوطٍ قُطْنِيَّةٍ فَرَبَطْتُ طَرَفَ الخَيْطِ إلى سَهْمٍ. وسَدَّدْتُ السَّهْمَ تَسْديدًا دَقيقًا وأَطْلَقْتُهُ فَوْقَ أَحَدِ الأَغْصانِ. ثُمَّ رَبَطْتُ بالخَيْطِ حَبْلًا رَفيعًا ، وسَحَبْتُهُ مِنَ الجانِبِ الآخَرِ ، فتَدَلَّى الحَبْلُ مِنْ طَرَفَيْهِ. وصارَ بِالإِمْكانِ إعْدادُ السُّلَّمِ.



كانَ الأَوْلادُ في أَثْناءِ ذٰلِكَ قَدْ قَصُّوا مِنَ الخَيْزُرانِ عيدانًا ثَخينَةً لِتَكونَ دَرَجاتٍ لِلسُّلَّمِ. وسُرْعانَ ما ثُبِّتَتْ تِلْكَ الدَّرَجاتُ في أَماكِنِها ، وباشَرْنا العَمَلَ عَلى بِناءِ البَيْتِ.

كانَتْ زَوْجَتي والأَوْلادُ الصِّغارُ يَأْتونَ بالخَشَبِ مِنَ الشّاطِئِ ، بَيْنَما ارْتَقَيْتُ أَنا وفِرِتْزْ الشَّجَرَةَ وبَدَأْنا العَمَلَ. واسْتَغْرَقَ العَمَلُ أَيّامًا ، صارَ البَيْتُ بَعْدَها جاهِزًا.

في مَساءِ ذٰلِكَ اليَوْمِ ، ارْتَقَيْنا جَميعُنا الشَّجَرَةَ ، ورَفَعْنا السُّلَّمَ وَراءَنا. ونِمْنا ، لأَوَّلِ مَرَّةٍ ، آمِنينَ.

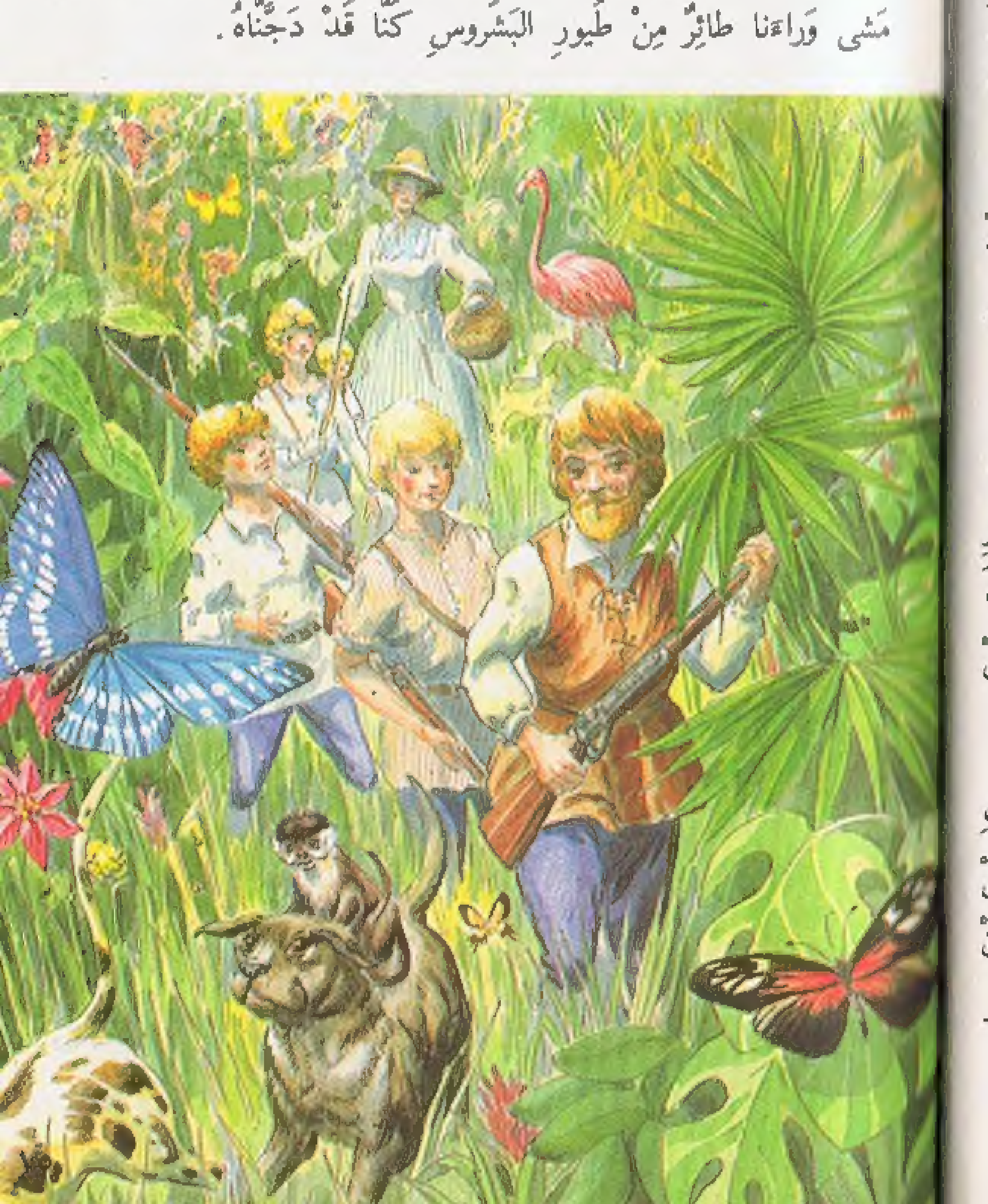
كُنّا في اليَوْمِ التّالي نَتجاذَبُ أَطْرافَ الحَديثِ فقَرَّرْنا أَنْ نُعْطِيَ لِلْأَماكِنِ مِنْ حَوْلِنا أَسْماءً. بَدَأْنا بِإِعْطاءِ اسْمٍ لِلْخَليجِ الَّذي نَزَلْنا فيهِ. وبَعْدَ نِقاشٍ اقْتَرَحَتْ زَوْجَتي أَنْ نُسَمِّيَهُ «خَليجَ العِنايَةِ»، لِأَنَّ العِنايَةَ الإِلٰهِيَّةَ هِيَ الَّتي أَنْقَذَتْنا. وأَسْمَيْنا المَوْقِعَ الَّذي خَيَّمْنا فيهِ «نُزُلَ الخَيْمَةِ». ثُمَّ تَناقَشْنا طَويلًا فيما نُسَمّي بَيْتَنا الجَديدَ.

رَأى إِرْنِسْت أَنْ نَدْعُوَهُ «القَلْعَةَ الشَّجَرِيَّةَ»، ورَأى فِرِتْز أَنْ نَدْعُوَهُ «عُشَّ النَّسْرِ»، وأَمّا جاك فقَدِ اقْتَرَحَ اسْمَ «بَلْدَةِ التّينِ». وحَسْمًا لِلْجَدَلِ رَأَيْتُ أَنْ نُسَمِّيَهُ «عُشَّ الصَّقْرِ».

وأَسْمَيْنا الجَدْوَلَ «نَهْرَ ابْنِ آوى» لأَنّا وَجَدْنا قُرْبَهُ بَناتِ آوى. وأَسْمَيْنا الأَرْضَ السَّبِخَةَ على ضَفَّتَيْهِ «أَرْضَ البَشَروسِ» بِاسْمِ طائِرِ البَشَروسِ الَّذي كانَ يُعَشِّشُ هُناكَ. وأَسْمَيْنا، أَخيرًا، الجَزيرَةَ المُجاوِرَةَ، «جَزيرَةَ القِرْشِ»، إِذْ رَأَيْنا في مِياهِها مَرَّةً سَمَكَةً مِنْ هٰذا النَّوْعِ المُتَوَحِّشِ.

في أَصيلِ ذٰلِكَ اليَوْمِ، وبَعْدَ أَنْ لَطُفَ الجَوُّ، تَوَجَّهَتِ الأُسْرَةُ كُلُّها إِلى «نُزُلِ الخَيْمَةِ»، حَيْثُ كُنّا نَحْتَفِظُ بِالكَثيرِ مِنْ مُؤْنَتِنا. كانَ فِرِتْز بِحاجَةٍ إِلى بارودٍ وذَخيرَةٍ، وأَرادَتْ زَوْجَتي أَنْ تَجْلُبَ زُبْدَةً مِنْ أَحَدِ البَراميلِ الَّتي جَرَفَتْها الأَمْواجُ إِلى الشّاطِئِ.

بَدَأْنا سَيْرَنا. كُنْتُ أَنا أَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً، وكَذٰلِكَ كانَ كُلٌّ مِنَ الوَلَدَيْنِ الكَبيرَيْنِ، بَيْنَما حَمَلَ الثّالِثُ قَوْسًا ونُشّابًا. ومَشى الكَلْبانِ أَمامَنا، وعَلى ظَهْرِ أَحَدِهِما رَكِبَ القِرْدُ الصَّغيرُ، في حينِ مَشى وَراءَنا طائِرٌ مِنْ طُيورِ البَشَروسِ كُنّا قَدْ دَجَّنّاهُ.



حينَ بَلَغْنا مُنْتَصَفَ طَرِيقِنا إلى الشّاطِئِ هَتَفَ إرْنِسْت بِحَماسَةٍ قائلًا : «أُنْظُروا !» وَقَفْنا نَنْظُرُ حَيْثُ أَشارَ فإذا نَحْنُ أمامَ حَقْلٍ مِنَ البَطاطا. أَسْرَعْنا نَسْتَخْرِجُ ثِمارَ البَطاطا ونَمْلأُ بِها أَكْياسَنا. ثُمَّ وَجَدْنا صَبّارًا ونَباتاتٍ غَريبَةً. ثُمَّ اكْتَشَفْنا ، وقَدْ غَمَرَتْنا الدَّهْشَةُ ، أَشْجارَ أَناناسٍ.

كُنّا ، حينَ بَلَغْنا «نَهْرَ ابْنِ آوى» ، قَدْ جَمَعْنا مِمّا صادَفَنا فَوْقَ ما نُطيقُ حَمْلَهُ.

وَجَدْنا كُلَّ شَيْءٍ في الشّاطِئِ عَلى حالِهِ. أَخَذَتْ زَوْجَتي تُفَتِّشُ عَنْ بِرْميلِ الزُّبْدَةِ ، وراحَ فْرِتْز يَبْحَثُ عَنِ البارودِ. أَمّا إرْنِسْت وجاك فقَدْ أَخَذا يُحاوِلانِ الإمْساكَ بِالبَطِّ والوَزِّ ، لٰكِنْ دونَ جَدْوَى. أَخيرًا ، لَجَأَ إرْنِسْت إلى الحيلَة ، فرَبَطَ بَعْضَ البِسْكويت إلى خَيْطٍ. أَلْقى الخَيْطَ في الماءِ ، وأَخَذَ يَشُدُّهُ إلَيْهِ كُلَّما اقْتَرَبَتِ الطُّيورُ مِنْهُ إلى أَنْ تمَكَّنَ مِنَ الإمْساكِ بِها.

لَمْ تكُنِ العَوْدَةُ بِأَحْمالِنا كُلِّها أَمْرًا يَسيرًا ، فقَرَّرْتُ أَنْ نَصْنَعَ مِزْلَجَةً يَجُرُّها الحِمارُ. وفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي جَمَعْنا أنا وإرْنِست أَخْشابًا ، ثَبَّتْناها بَعْضَها بِبَعْضٍ بِمَسامِيرَ ، ثُمَّ رَبَطْنا في مُقَدَّمَتِها حَبْلَيْنِ ، فأَصْبَحَتْ مِزْلَجَتُنا جاهِزَةً. ثُمَّ حَمَّلْنا المِزْلَجَةَ بِبِرْميلِ الزُّبْدَةِ وبِرْميلِ البارودِ وبِبَعْضِ قَوالِبِ الجُبْنَةِ.





في طَريقِ العَوْدَةِ إلى «عُشِّ الصَّقْرِ» رَأَيْنا أَحَدَ الكَلْبَيْنِ يَجْري فَجْأَةً وَراءَ حَيَوانٍ لا شَبيهَ لَهُ في غَرابَةِ شَكْلِهِ وجَرْيِهِ الوَثْبِيِّ. كانَ حَيَوانًا ذا ذَيْلٍ ضَخْمٍ وقائِمَتَيْنِ خَلْفِيَّتَيْنِ كَبيرَتَيْنِ تَتَمَيَّزانِ عن قائِمَتَيْهِ الأَمامِيَّتَيْنِ الصَّغيرَتَيْنِ. ذٰلِكَ كانَ الكَنْغَرَ الأَحْمَرَ!

عُدْتُ أَنا وفْرِتْز إلى حُطامِ السَّفينَةِ لِنَرى إنْ كانَ بَقِيَ فيها ما نَسْتَفيدُ مِنْهُ. قُمْنا بِعِدَّةِ نَقَلاتٍ، ووَجَدَ فْرِتْز في المَرَّةِ الأَخيرَةِ فُلْكًا شِراعِيًّا مَخْزونًا في عَنْبَرِ السَّفينَةِ لا يَحْتاجُ إلّا إلى تَجْميعِ أَجْزائِهِ.

اِسْتَغْرَقَ بِناءُ مَرْكَبِنا الصَّغيرِ أَيّامًا عَديدَةً. ولَمّا أَنْجَزْنا عَمَلَنا بَدا الفُلْكُ مِنَ الضَّخامَةِ بِحَيْثُ اضْطُرِرْنا إلى اسْتِخْدامِ البارودِ لِإِحْداثِ فَجْوَةٍ في جِدارِ السَّفينَةِ لِإِخْراجِهِ مِنْها.

كانَ لِفُلْكِنا صِوارٌ وأَشْرِعَةٌ. كَما كانَ مُزَوَّدًا في مُقَدَّمَتِهِ بِمِدْفَعَيْنِ صَغيرَيْنِ. ما كانَ أَرْوَعَ مَرْكَبَنا الصَّغيرَ!

ثُمَّ رَأَيْنا أَنَّهُ آنَ الأَوانُ لِلْقِيامِ بِجَوْلَةٍ اسْتِكْشافِيَّةٍ أُخْرى في الغاباتِ. شاهَدْنا في بَدْءِ جَوْلَتِنا في الصَّباحِ نَباتاتٍ وطُيورًا غَريبَةً. ووَجَدْنا بَعْدَ الغَداءِ شُجَيْراتٍ ذاتَ ثِمارٍ غَريبَةٍ، تَلْصَقُ بَيْنَ الأَصابِعِ. كانَتْ تِلْكَ شُجَيْراتِ التّوتِ الشَّمْعِيِّ. وعِنْدَما عُدْنا إلى البَيْتِ، مَلَأْنا قِدْرًا بِثِمارِ التّوتِ وأَشْعَلْنا تَحْتَهُ نارًا خَفيفَةً، إلى أَنْ عَزَلْنا الشَّمْعَ عَنِ الثَّمَرِ

صَنَعَتْ زَوْجَتي فَتائِلَ مِنْ خُيوطِ القِنَّبِ الَّتي اسْتَخْرَجَتْها مِنْ إِحْدى قِطَعِ القُماشِ. ثُمَّ غَمَسَتِ الفَتائِلَ في الشَّمْعِ وتَرَكَتْها تَبْرُدُ وتَشْتَدُّ. ثُمَّ عاوَدَتْ غَمْسَ الفَتائِلِ مَرّاتٍ، وفي كُلِّ مَرَّةٍ تَتْرُكُها تَبْرُدُ وتَشْتَدُّ، حَتّى صارَتِ الفَتائِلُ شُموعًا ثَخينَةً. كانَ نورُ تِلْكَ الشُّموعِ قَوِيًّا ساطِعًا.

ولَمْ نَعُدْ بَعْدَها مُضْطَرّينَ لِلْإِخْلادِ إلى النَّوْمِ عِنْدَ غُروبِ الشَّمْسِ.



كانَ على مَتْنِ السَّفينَةِ غِراسُ فاكِهَةٍ حَمَلَها أَصْحابُها مَعَهُمْ لِزَرْعِها في بَعْضِ الأَماكِنِ النّائِيَةِ. نَمَتْ تِلْكَ الغِراسُ في مُناخِ الجَزيرَةِ المُلائِمِ نُمُوًّا سَريعًا. وقَدْ زَرَعْنا حَوْلَ «نُزُلِ الخَيْمَةِ» أَشْجارَ البُرْتُقالِ واللَّيْمونِ، وبَيْنَ «نُزُلِ الخَيْمَةِ» و«عُشِّ الصَّقْرِ» زَرَعْنا على حافَتَيِ المَمَرِّ العَريضِ أَشْجارًا فاكِهِيَّةً أُخْرى. وكُنّا نَرْجو مِنْ ذٰلِكَ لَيْسَ الحُصولَ على الثِّمارِ فَحَسْبُ، بَلْ والاسْتِظْلالَ أَيْضًا مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الحارِقَةِ. واسْتَخْدَمْنا الأَشْجارَ ذاتَ الأَغْصانِ الشّائِكَةِ أَسْيِجَةً تَحْمي حَيَواناتِنا مِنَ الشُّرودِ.

كُنّا في ما نَقومُ بِهِ مِنْ زَرْعٍ وحَفْرٍ نَضَعُ نُصْبَ أَعْيُنِنا جَعْلَ



مَوْقِعِنا آمِنًا مِنْ كُلِّ هُجومٍ خارِجِيٍّ.

ثَبَّتْنا في أَعْلى رابِيَتَيْنِ مِنَ الرَّوابي المُجاوِرَةِ لِلنَّهْرِ مِدْفَعَيْنِ اثْنَيْنِ مِنْ مَدافِعِ حُطامِ السَّفينَةِ. وبَنَيْنا جِسْرًا بَيْنَنا وبَيْنَ الضَّفَّةِ الأُخْرى مِنَ النَّهْرِ. ثُمَّ إِنَّنا لَمّا رَأَيْنا أَنَّ عُبورَهُ مَيْسورٌ لِمَنْ يَأْتي مِنَ الجانِبِ الآخَرِ، أَعَدْنا بِناءَهُ وجَعَلْناهُ جِسْرًا مُتَحَرِّكًا يَسْهُلُ رَفْعُهُ وَقْتَ نَشاءُ.

اِسْتَغْرَقَ مِنّا العَمَلُ عَلى هٰذِهِ التَّحْسيناتِ كُلِّها حَوالى سِتَّةِ أَسابيعَ. وكانَ أَنْ تَسَبَّبَ العَمَلُ المُضْني في تَمَزُّقِ ثِيابِنا. وكُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ في السَّفينَةِ كَمِّيَّةً كَبيرَةً مِنْ ثِيابِ البَحّارَةِ، فَتَوَجَّهْتُ إِلَيْها أَنا والأَوْلادُ، وصَرَفْنا أَيّامًا نَفْتَحُ الصَّناديقَ ونُخْرِجُ مِنْها ثِيابًا وحاجاتٍ أُخْرى نافِعَةً.



لَمْ يَتَبَقَّ في السَّفِينَةِ شَيْءٌ نافِعٌ ، فقَرَّرْتُ أَنْ أُفَجِّرَها. كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ الرِّياحَ والأَمْواجَ سَتَحْمِلُ إلى الشَّاطِئِ الأَخْشابَ المُتَطايِرَةَ فنَخْزُنُها إلى أَنْ يأتِيَ وَقْتٌ نَحْتاجُ إلَيْها فيه.

ثَبَّتْنا في مُقَدَّمَةِ السَّفِينَةِ بِرْمِيلًا مِنَ البارودِ ووَصَلْنا بِهِ فَتِيلًا طويلًا يَسْتَغْرِقُ اشْتِعالُهُ ساعاتٍ. أَشْعَلْنا الفَتِيلَ وعُدْنا إلى الجَزِيرَةِ مُسْرِعِينَ. تَسَلَّقْنا بَعْدَ العَشاءِ قِمَّةَ إِحْدى الرَّوابي. وأَوَّلَ هُبوطِ الظَّلامِ رَأَيْنا نورًا خاطِفًا يُضِيءُ ظَلامَ اللَّيْلِ وسَمِعْنا انْفِجارًا رَهِيبًا. وزالَ حُطامُ السَّفِينَةِ مِنْ فَوْقِ سَطْحِ الماءِ.



اِنطَلَقْنا كنا في صَباحِ اليَوْمِ التّالي إلى الغابَةِ لِحاجَتِنا إلى كَثيرٍ مِمّا فيها. كُنّا بِحاجَةٍ إلى عيدانِ الخَيْزُرانِ نُدَعِّمُ بها أَشْجارَ الفاكِهَةِ، وإلى ثِمارِ التّوتِ الشَّمْعِيَّةِ لِلتَّعْويضِ مِنَ النَّقْصِ في مَخْزونِنا مِنَ الشَّمْعِ، وإلى سيقانِ قَصَبِ السُّكَّرِ. حَوَّلْنا المِزْلَجَةَ إلى عَرَبَةٍ مُسْتَخْدِمينَ البَقَرَةَ والحِمارَ في جَرِّها. وانْطَلَقْنا.

صَرَفْنا فَتْرَةَ ما بَعْدَ الظُّهرِ نَجْمَعُ ثِمارَ جَوْزِ الهِنْدِ وثِمارَ التّوتِ الشَّمْعِيِّ وَنَقْطَعُ حاجَتَنا مِنْ سيقانِ قَصَبِ السُّكَّرِ وعيدانِ الخَيْزُرانِ.

وحينَ هَبَطَ الظَّلامُ أَقَمْنا مَنْجاً لِلَيْلَتِنا تِلْكَ مِنَ الأَغْصانِ ونَسيجِ القِنَّبِ.

لا بُدَّ أَنَّ شَيْئًا، بَعْدَ ذٰلِكَ، أَثارَ الحِمارَ؛ فإنَّه أَخَذَ يَنْهَقُ ثُمَّ رَكَضَ إلى قَلْبِ الغابَةِ، وغابَ عَنْ أَنْظارِنا. ولَمْ نَعْثُرْ عَلَيْهِ في الظَّلامِ. في صَباحِ اليَوْمِ التّالي تَتَبَّعْنا، أَنا وجاك، آثارَهُ بِضْعَةَ كيلومِتْراتٍ حَتّى وَصَلْنا إلى بُقْعَةٍ مِنَ الأَرْضِ ذاتِ أَعْشابٍ عالِيَةٍ. وبَيْنَما كُنّا نَخوضُ في أَعْشابِ تِلْكَ الأَرْضِ ظَهَرَ أَمامَنا، فَجْأَةً، قَطيعٌ مِنَ الجَواميسِ البَرِّيَّةِ.

وَقَفَتِ الجَواميسُ في مُواجَهَتِنا. وكانَ بَعْضُها مُسْتَلْقِيًا عَلى الأَرْضِ فشَرَعَ يقومُ بِتَثاقُلٍ. كُنّا نُوشِكُ أَنْ نَنْسَحِبَ بِهُدوءٍ لَوْلا أَنِ انْدَفَعَ أَحَدُ كَلْبَيْنا عَبْرَ العُشْبِ العالي وأَمْسَكَ عِجْلًا صَغيرًا. فانْدَفَعَتِ الجَواميسُ نَحْوَنا. وأَصابَنا ذُعْرٌ شَديدٌ، فلَمْ نَشْعُرْ إلّا ونَحْنُ نَرْفَعُ بُنْدُقِيَّتَيْنا ونُطْلِقُ النّارَ. أَفْزَعَ صَوْتُ الرَّصاصِ الجَواميسَ فَفَرَّتْ كُلُّها بِاسْتِثْناءِ العِجْلِ الصَّغيرِ. رَبَطْنا العِجْلَ وأَخَذْناهُ مَعَنا. أَمّا الحِمارُ فلَمْ نَقَعْ لَهُ عَلى أَثَرٍ وقَطَعْنا الأَمَلَ مِنَ العُثورِ عَلَيْهِ.

عُدْنا مَساءً إلى الأُسْرَةِ فوَجَدْنا فِرِتْز قَدْ أَمْسَكَ فَرْخَ نَسْرٍ. سَرَّنا ذٰلِكَ لأَنَّهُ يُمْكِنُ تَرْويضُ فَرْخِ النَّسْرِ وتَدْريبُهُ عَلى مُساعَدَتِنا في الصَّيْدِ.



أَقَمْنا لَيْلَتَنا تِلْكَ أَيْضًا في المُخَيَّمِ. وبَدَأْنا في صَباحِ اليَوْمِ التّالي رِحْلَةَ العَوْدَةِ إلى «عُشِّ الصَّقْرِ» مُسْتَخْدِمينَ العِجْلَ والبَقَرَةَ في جَرِّ العَرَبَةِ.

رَكَضَ الكَلْبانِ أَمامَ الرَّكْبِ. وفَجْأَةً تَوَقَّفا وأَخَذا يَنْبَحانِ نُباحًا عالِيًا مُتَواصِلًا. اِنْدَفَعْنا إِلَيْهِما فرَأَيْنا قُرْبَهُما قِطَّةً بَرِّيَّةً وحَوْلَها سِتُّ هُرَيْراتٍ. فقَرَّرْنا أَنْ نَتْرُكَ هذِهِ الأُسْرَةَ تَعيشُ في البَرِّيَّةِ عيشَتَها الطَّبيعيَّةَ.

كانَ في تَسَلُّقِ سُلَّمِ الحِبالِ في «عُشِّ الصَّقْرِ» صُعوبَةٌ بالِغَةٌ. كُنْتُ أَخْشى أَنْ يَنْزَلِقَ أَحَدُنا فيَقَعَ ويُؤْذِيَ نَفْسَهُ. وقَدْ لاحَظَتْ زَوْجَتي أَنَّ في جِذْعِ الشَّجَرَةِ تَجْويفًا. فلَوْ كانَ هذا التَّجْويفُ مُتَّصِلًا إلى أَعْلى الجِذْعِ لَأَمْكَنَ بِناءُ دَرَجٍ داخِلِيٍّ.

تَفَحَّصْتُ الجِذْعَ في اليَوْمِ التّالي فتَبَيَّنَ لي أَنَّهُ كُلَّهُ، لِحُسْنِ الحَظِّ، مُجَوَّفٌ. فلَمْ يَكُنْ بِناءُ دَرَجٍ أَمْرًا عَسيرًا. بَدَأْنا بِأَنْ حَفَرْنا في أَسْفَلِ الجِذْعِ فُتْحَةً. وثَبَّتْنا في الفُتْحَةِ بابًا مِنَ الأَبْوابِ الَّتي كُنّا جَمَعْناها مِنْ حُطامِ السَّفينَةِ. وبَعْدَ أَنْ بَنَيْنا الدَّرَجَ حَفَرْنا في الجِذْعِ ثَلاثَ طاقاتٍ. وأَنْجَزْنا العَمَلَ كُلَّهُ في ثَلاثَةِ أَسابيعَ.

كانَتْ عَنزاتُنا ، في هٰذا الوَقْتِ ، قَدْ وَضَعَتْ جَدْيَيْنِ ، وَوَضَعَتْ غَنَماتُنا خَمْسَةَ حُمْلانٍ ، كَما وَضَعَتْ كَلْبَتُنا عِدَّةَ جِراءٍ.

رَوَّضْنا عِجْلَ الجاموسِ ، تَدْريجًا ، عَلى نَقْلِ أَحْمالِنا فَوْقَ ظَهْرِهِ. وتَعَلَّمَ الأَوْلادُ رُكوبَهُ. وكانَ فِرتْز مَشْغولًا في تَدْريبِ نَسْرِهِ.

أَخَذَتْ مَزْرَعَتُنا بِالاِتِّساعِ . وذاتَ يَوْمٍ فاجَأَنا الحِمارُ الضّائِعُ بِأَنْ عادَ ومَعَهُ حِمارٌ بَرِّيٌّ. وفَقَّسَ بَيْضُ دَجاجاتِنا أَرْبَعينَ صوصًا صارَ عَلَيْنا الآنَ أَنْ نَبْنِيَ زَرائِبَ لِلْحَيَواناتِ تَقيها من فَصْلِ الأَمْطارِ القَريبِ. وكانَ عَلَيْنا أَيْضًا أَنْ نُعِدَّ مُؤْنَةَ الشِّتاءِ ، وأَنْ نَبْذُرَ الأَرْضَ قَبْلَ مَوْسِمِ الأَمْطارِ.

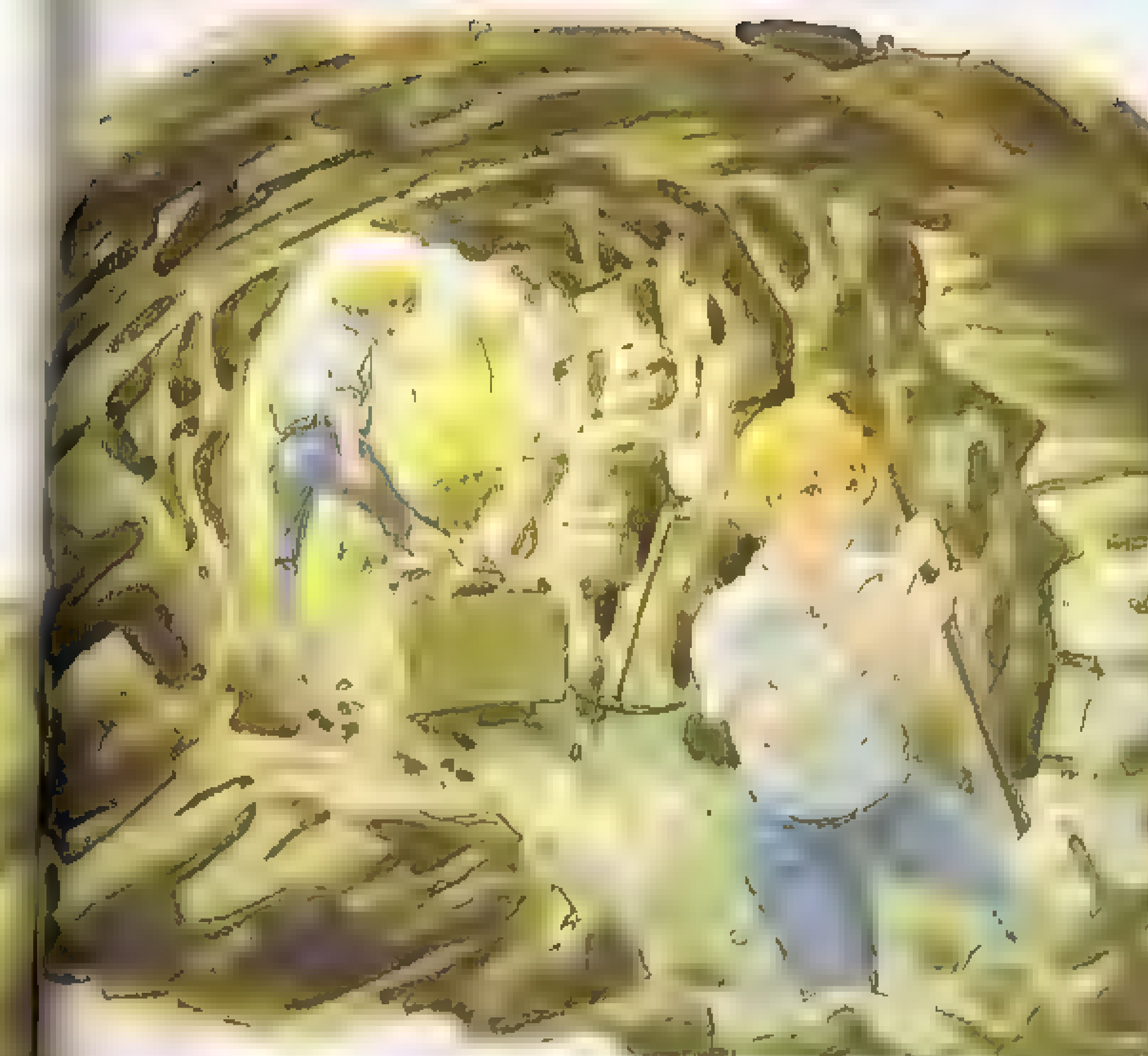
ما إِنْ أَنْهَيْنا أَعْمالَنا هٰذِهِ حَتّى كانَتِ العَواصِفُ قَدْ بَدَأَتْ. مَزَّقَتِ الرِّياحُ المُعْوِلَةُ أَغْصانَ الأَشْجارِ ودَفَعَتْ بِمِياهِ الأَمْطارِ إِلى داخِلِ بَيْتِنا فَوْقَ الشَّجَرَةِ. فاضْطُرِرْنا إِلى تَرْكِ البَيْتِ والاِنْتِقالِ إِلى الزَّرائِبِ لِنَعيشَ بَقِيَّةَ الشِّتاءِ مَعَ الحَيَواناتِ.

كانَتْ تِلْكَ المَرَّةَ الأُولى الَّتي نَشْعُرُ فيها ، بَعْدَ تَرْكِنا السَّفينَةَ ، بِالضّيقِ. كانَ يَنْقُصُنا مِدْفَأَةٌ مُناسِبَةٌ ، فَلَمْ نُحِسَّ ، طَوالَ الشِّتاءِ ، بِالدِّفْءِ. وسُرْعانَ ما أَكَلَتِ الحَيَواناتُ مَخْزونَها مِنَ المُؤْنَةِ ،

فكانَ عَلَيْنا أَنْ نُشْرِكَها في مُؤْنَتِنا. وبَدا كَأَنْ لا نِهايَةَ لِلَيالي الشِّتاءِ الطَّويلَةِ ونَهاراتِهِ القَصيرَةِ.

وَاكْتَشَفْنا عِنْدَ نِهايَةِ الشِّتاءِ أَنَّ الرِّياحَ قَدْ عَصَفَتْ بِـ«نُزُلِ الخَيْمَةِ» ، وأَنَّ العَديدَ مِنْ مُسْتَوْدَعاتِنا قَدْ تَهَدَّمَ. وكانَ واضِحًا أَنْ لا غِنى لَنا عَنْ مَلْجَإٍ شَتَوِيٍّ آمِنٍ لا يَدْخُلُهُ المَطَرُ. فَفَتَّشْنا أَمْيالًا وأَمْيالًا مِنَ الشّاطِئِ. فَلَمْ نَعْثُرْ عَلى كَهْفٍ مُلائِمٍ. عِنْدَها اقْتَرَحَ الأَوْلادُ أَنْ نَحْفِرَ كَهْفًا في المُنْحَدَرِ الصَّخْرِيِّ.





اِخترْتُ مكانًا بَهيجًا يُشْرِفُ عَلى «خَليجِ العِنايَةِ». وبَدَأْنا الحَفْرَ لِساعَتِنا. ولَمْ نكُنْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ قَدْ حَفَرْنا شَيْئًا يُذْكَرُ، لٰكِنْ كانَ الصَّخْرُ قَدْ بَدَأَ يَلينُ تَحْتَ ضَرباتِ مَعاوِلِنا. وبَعْدَ أَيّامٍ اخْتَرَقَ مُخْلُ جاك قَلْبَ الصَّخْرِ، فصاحَ. «تَجْويفٌ صَخْرِيٌّ!». وأَسْرَعْنا كُلُّنا ووَسَّعْنا الفُتْحَةَ، فاكْتَشَفْنا كَهْفًا لا شَبيهَ لَهُ في جَمالِهِ. تُبَطِّنُ جُدُرَه صُخورُ البِّوْرِ البَرّاقَةُ عاكِسَةً أَضْواءَ شُموعِنا وكَأَنَّها بَريقُ آلافِ الماساتِ.

ذاكَ هُوَ بَيْتُنا الشَّتَوِيُّ الجَديدُ. سَنَعيشُ الصَّيْفَ في «عُشِّ الصَّقْرِ» ونُمْضي الشِّتاءَ في الكَهْفِ. كانَ كَهْفًا واسِعًا جِدًّا، فَقَسَمْناهُ إلى عِدَّةِ غُرَفٍ، وأَقَمْنا نَوافِذَ تَسْمَحُ بِدُخولِ النُّورِ. وعَمِلْنا شُهورًا في تَصْنيعِ أَخْشابٍ مِنْ حُطامِ السَّفينَةِ لِجَعْلِ كَهْفِنا بَيْتًا مُريحًا جِدًّا.

وَصَلَ الخَليجَ ، في أَثْناءِ عَمَلِنا في الكَهْفِ ، أَعْدادٌ هائِلَةٌ مِنْ سَمَكِ الرِّنْكَةِ. فَتَصَيَّدْنا مِنْها الكَثيرَ وحَفِظْنا بَعْضَها في الماءِ المالِحِ . وبَعْدَ حَوالى الشَّهْرِ ، بَدَأَ سَمَكُ السَّلْمون يُصَعِّدُ في النَّهرِ لِيَضَعَ بَيْضَهُ. لٰكِنْ كانَ مِنَ الضَّخامَةِ بِحَيْثُ لَمْ نَقْدِرْ عَلى صَيْدِهِ بِالصِّنّارَةِ . فَرَبَطَ جاك خَيْطًا رَفيعًا إلى سَهْمٍ وأَصابَ أَسْماكَ كَثيرَةً.

ثُمَّ جاءَ الغَيْثُ ، مُنْذِرًا بِحُلولِ مَوْسِمِ الأَمْطارِ ، قَبْلَ أَنْ نُتِمَّ جَمْعَ مَحْصولاتِنا. فانْشَغَلْنا في الأَسابيعِ التّالِيَةِ انْشِغالًا عَظيمًا. وحينَ حَلَّ مَوْسِمُ الأَمْطارِ كُنّا قَدْ جَمَعْنا مَحْصولاتِنا كُلَّها وخَزَّنّاها ، وحَرَثْنا الأَرْضَ وبَذَرْناها.

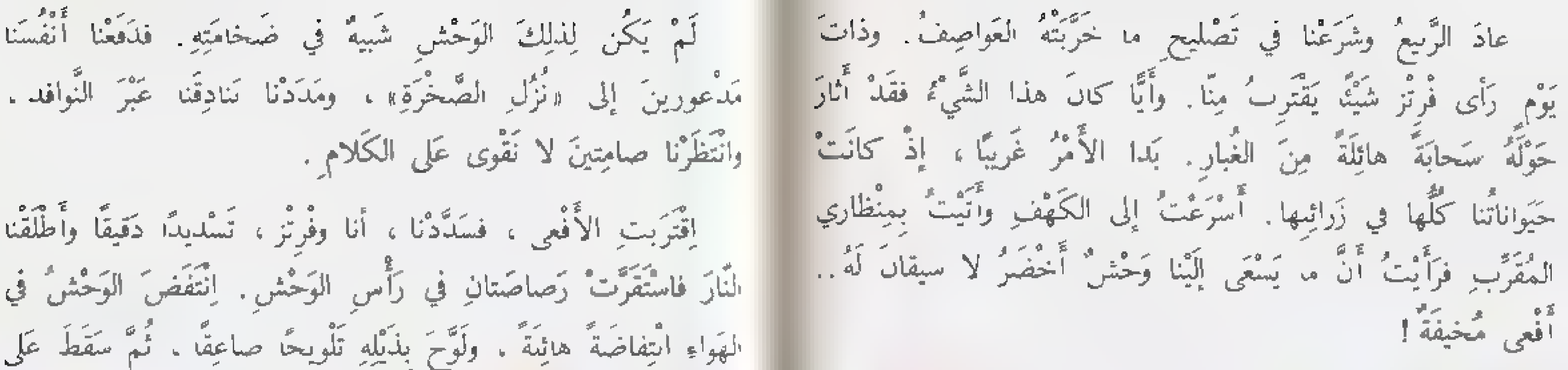


حَلَّ شِتاءُ العامِ الثّاني ، فإذا هُوَ غَيْرُ شِتاءِ العامِ الأَوَّلِ راحَةً واطْمِئْنانًا. وأَدْخَلْنا ، خِلالَ الشِّتاءِ ، تَحْسيناتٍ كَثيرَةً عَلى الكَهْفِ. فَقَدْ عَلَّقْتُ مِصْباحَ السَّفينَةِ الكَبيرَ في السَّقْفِ ، واشْتَرَكْنا جَميعًا في صُنْعِ رُفوفٍ لِلْكُتُبِ الَّتي كُنّا أَتَيْنا بِها مِنْ حُطامِ السَّفينَةِ. وأَخْرَجْنا مِنْ بَعْضِ الصَّناديقِ مَرايا وساعاتٍ وقِطَعَ أَثاثٍ مُخْتَلِفَةً. مَرَّ الوَقْتُ في «نُزُلِ الصَّخْرَةِ» ، كَما أَسْمَيْنا كَهْفَنا ، دونَ أَنْ نَشْعُرَ بِهِ.

عادَ الرَّبيعُ وشَرَعْنا في تَصْليحِ ما خَرَّبَتْهُ العَواصِفُ. وذاتَ يَوْمٍ رَأى فِرِتْز شَيْئًا يَقْتَرِبُ مِنّا. وأيًّا كانَ هذا الشَّيْءُ فقَدْ أثارَ حَوْلَهُ سَحابَةً هائِلَةً مِنَ الغُبارِ. بَدا الأَمْرُ غَريبًا، إذْ كانَتْ حَيَواناتُنا كُلُّها في زَرائِبِها. أَسْرَعْتُ إلى الكَهْفِ وأَتَيْتُ بِمِنْظاري المُقَرِّبِ فرَأَيْتُ أنَّ ما يَسْعَى إلَيْنا وَحْشٌ أَخْضَرُ لا سيقانَ لَهُ.. أفْعى مُخيفَةٌ!

لَمْ يَكُنْ لِذلِكَ الوَحْشِ شَبيهٌ في ضَخامَتِهِ. فَدَفَعْنا أنْفُسَنا مَدْعورينَ إلى «نُزُلِ الصَّخْرَةِ»، ومَدَدْنا بَنادِقَنا عَبْرَ النَّوافِذِ. وانْتَظَرْنا صامِتَيْنِ لا نَقْوى عَلى الكَلامِ.

اِقْتَرَبَتِ الأفْعى، فسَدَّدْنا، أنا وفِرِتْز، تَسْديدًا دَقيقًا وأَطْلَقْنا النّارَ فاسْتَقَرَّتْ رَصاصَتانِ في رَأْسِ الوَحْشِ. اِنْتَفَضَ الوَحْشُ في الهَواءِ انْتِفاضَةً هائِلَةً، ولَوَّحَ بِذَيْلِهِ تَلْويحًا صاعِقًا، ثُمَّ سَقَطَ عَلى الأَرْضِ مَيْتًا.



شَغَلَ بالَنا الخَوْفُ مِنْ وُجودِ جُحْرٍ لِلأَفْعى فَوْقَ الجَزيرَةِ. فلَوْ أَنَّهُ كانَ في مِثْلِ ذٰلِكَ الجُحْرِ فِراخُ أَفاعٍ لَكانَ عَلَيْنا أَنْ نُهاجِمَها قَبْلَ أَنْ تَكْبُرَ وتُهاجِمَنا.

شَرَعْنا بَعْدَ يَوْمَيْنِ في رِحْلَةٍ جَماعِيَّةٍ ضَخْمَةٍ لِلْعُثورِ عَلى جُحْرِ الأَفْعى ولِاسْتِكْشافِ ما لَمْ نَسْتَكْشِفْهُ مِنْ أَرْجاءِ الجَزيرَةِ. اِنْطَلَقْنا انْطِلاقَةَ جَيْشٍ، مُزَوَّدينَ مِنَ الزّادِ والمُعَدّاتِ بِما يَكْفينا ثَلاثَةَ أَسابيعَ.

لَمْ نَقَعْ عَلى أَثَرٍ لِأَيِّ أَفْعى. ولٰكِنْ بَيْنَما كُنّا نَعْبُرُ حَقْلَ قَصَبِ السُّكَّرِ، رَأَيْنا سيقانَ القَصَبِ تَهْتَزُّ عَنْ بُعْدٍ بِعُنْفٍ وسَمِعْنا ضَجيجًا. أَخَذَتِ الكِلابُ تَنْبَحُ، ورَفَعْنا بَنادِقَنا. وبَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ، بَرَزَ أَمامَنا قَطيعُ الجَواميسِ البَرِّيَّةِ، وهِيَ في حالَةِ هِياجٍ شَديدٍ. أَطْلَقْنا النّارَ عَلى الفَوْرِ فَسَقَطَ جاموسٌ وعِجْلٌ ولاذَ سائِرُ أَفْرادِ القَطيعِ بِالفِرارِ. فأَخَذْنا لَحْمَ الجاموسِ وعالَجْناهُ بالمِلْحِ وقَدَّدْناهُ.

أَمّا العِجْلُ فَقَدْ أَرادَ فِرِتْز أَنْ يُعِدَّ لَنا مِنْهُ طَعامًا عَلى طَريقَةِ سُكّانِ الجُزُرِ في البِحارِ الجَنوبِيَّةِ. فحَفَرَ هُوَ وإِخْوَتُهُ حُفْرَةً مُسْتَديرَةً عَميقَةً أَوْقَدوا فيها نارًا. وحينَ اشْتَعَلَتِ النّارُ اشْتِعالاً قَوِيًّا رَمَوْا فيها حِجارَةً فَسَخُنَتْ سُخونَةً شَديدَةً. ثُمَّ فَرَكَ فِرِتْز العِجْلَ بِالمِلْحِ، وحَشاهُ بِرُؤوسِ البَطاطا، ولَفَّهُ بِأَوْراقٍ نَباتِيَّةٍ كَبيرَةٍ. وأَنْزَلَهُ، بَعْدَ



ذٰلِكَ، في الحُفْرَةِ السّاخِنَةِ وغَطّاهُ بِحِجارَةٍ ساخِنَةٍ أُخْرى، وتَرَكَهُ يَنْضَجُ ساعَتَيْنِ. ثُمَّ قَدَّمَ لَنا وَجْبَةً، هِيَ أَشْهى ما تَذَوَّقْنا في حَياتِنا.



تابَعْنا في ليومِ لتالي بَحْثَنا. فوَصَلْنا إلى حافَةِ سَهْلٍ فَسيحٍ. وهُناكَ، عَثَرْنا على أَثَرٍ لِلأَفْعى.

عَبَرْنا الوادي كُلَّهُ ووَصَلْنا إلى صَحْراءَ. وسَمِعْتُ فرِتْز يُناديني مِنْ أَعْلى إحْدى الرَّوابي، ويَقولُ إنَّه رَأى خَيّالَةً. أَسْرَعْتُ إلى مِنْظاري أَتَحَرَّى الأَمْرَ. فلَمْ أَرَ خَيّالَةً بَلْ قَطيعًا مِنْ طُيورِ النَّعامِ يَرْكُضُ نَحْوَنا صَفًّا واحِدًا. أَخَذْتُ أُراقِبُ تِلْكَ الطُّيورَ حَتّى رَأَيْتُها تَأْوي لى أَعْشاشِها. فقَرَّرْتُ أَنْ نُمْسِكَ واحِدًا مِنْها.

كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ لِلنَّعامِ سُرْعَةً تَفوقُ سُرْعَةَ الجِيادِ. فزَحَفْنا إلَيْها بِحَذَرٍ. كَمَمْنا فَمَ الكَلْبَيْنِ ورَبَطْنا مِنْقارَ النَّسْرِ، لأَنّا لَمْ نَكُنْ نَرْغَبُ في نَعامَةٍ جَريحَةٍ. وما إنْ رَأَتْنا الطُّيورُ حَتّى انْطَلَقَتْ هارِبَةً. فرَكَضَ الكَلْبانِ وَراءَها، وأَطْلَقَ جاك نَسْرَهُ. حَلَّقَ النَّسْرُ عالِيًا ثُمَّ انْقَضَّ فَوْقَ إحْدى النَّعاماتِ وراحَ يَدورُ حَوْلَها ويَدورُ جاعِلًا إيّاها تَدورُ في حَلَقاتٍ. ثُمَّ وَجَّهَ إلَيْها ضَرْبَةً صاعِقَةً مِنْ جَناحِهِ الضَّخْمِ جَمَّدَتْها في مَكانِها. وأَسْرَعَ جاك إلى ساقَيْها ورَبَطَهُما بِحَبْلٍ. وحَمَلْنا مَعَنا عَدَدًا مِنْ بَيْضِ النَّعامِ.

اِسْتَمَرَّ البَحْثُ عَنْ جُحْرِ الأَفْعى طَويلًا، ولٰكِنْ بِلا طائِلٍ.



عُدْنا أَخيرًا إلى الكَهْفِ وشَرَعْنا في تَرْويضِ النَّعامَةِ. واسْتَغْرَقَ ذلِكَ شُهورًا. كانَتِ النَّعامَةُ في بِدايَةِ الأَمْرِ شَديدَةَ الهِياجِ تَرْفُسُ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنْها أَوْ تَنْقُرُهُ. واسْتَطَعْتُ، شَيْئًا فَشَيْئًا، أَنْ أُدَجِّنَها فَأَجْعَلَها تَحْمِلُ لَنا عَلى ظَهْرِها أَحْمالًا خَفيفَةً. ثُمَّ صَنَعْتُ لَها سَرْجًا، وصارَتْ قادِرَةً عَلى أَنْ تَحْمِلَ الأَوْلادَ فَوقَ ظَهْرِها وتَنْطَلِقَ بِهِمْ بِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ.

عادَ الشِّتاءُ ثانِيَةً، وكانَ عَلَيْنا أَنْ نَلْجَأَ إلى الكَهْفِ بَدَتِ الأَيّامُ طَويلَةً، في بِدايَةِ الأَمْرِ، ثُمَّ اقْتَرَحَ فِرِتْز أَنْ نَبْنِيَ زَوْرَقًا صَغيرًا. وكانَ يُفَكِّرُ في زَوْرَقٍ جِلْدِيٍّ نَقّالٍ كَزَوارِقِ الكاياكِ الَّتي يَسْتَعْمِلُها سُكّانُ الإسْكيمو.

بَدَأْنا لعَمَلَ. فَصَنَعْنا الهَيْكَلَ مِنْ عِظامِ حيتانٍ وَجَدْناها عَلى الشّاطِئِ، وغَلَّفْنا الهَيْكَلَ بِشَبَكَةٍ دَقيقَةٍ مِنْ أَوْراقِ الأَسَلِ. ثُمَّ غَلَّفْنا شَبَكَةَ الأَسَلِ بِجُلودِ عُجولِ البَحْرِ، وسَدَدْنا السُّقوفَ بِصَمْغٍ شَجَرِيٍّ قَوِيٍّ مَنْعًا لِتَسَرُّبِ الماءِ. ثَبَّتُّ مَقْعَدًا صَغيرًا في داخِلِ الزَّوْرَقِ. وصَنَعْتُ مِنْ خَشَبِ الخَيْزُرانِ مِجْذافًا ذي طَرَفَيْنِ. أَنْجَزْنا بِناءَ الزَّوْرَقِ. ولٰكِنْ كانَ عَلَيْنا أَنْ نَنْتَظِرَ انْحِسارَ العَواصِفِ لِتَجْرِبَتِهِ.



لَمّا كانَ فِرِتْز هُوَ الَّذي اقْتَرَحَ أَنْ نَبْنِيَ زَوْرَقَ الكاياكِ ، رَأَيْنا أَنْ يَكونَ أَوَّلَ مَنْ يَخْرُجُ بِهِ إلى البَحْرِ عِنْدَ اعْتِدالِ الطَّقْسِ. وما إنْ سَطَعَتْ شَمْسُ الجَوِّ الرَّبيعِيِّ أَخيرًا ، حَتّى أَسْرَعَ فِرِتْز إلى زَوْرَقِهِ يَحْمِلُهُ إلى الماءِ ، وأَبْهَجَهُ أَنَّهُ وَجَدَهُ زَوْرَقًا سَريعًا يَخْطِرُ فَوْقَ الأَمْواجِ كَما يَخْطِرُ لَوْحٌ مِنَ الفِلِّينِ. ما كانَ أَرْوَعَهُ !

كَبُرَ الأَوْلادُ في السَّنَواتِ العَشْرِ التّالِيَةِ ، وأَصْبَحوا شُبّانًا أَقْوِياءَ أَصِحّاءَ. وتَضاعَفَتْ حَيَواناتُنا عَدَدًا ، وبَنَيْنا مَزارِعَ أُخْرى. خَصَّصْنا إحْدى مَزارِعِنا لإِنْتاجِ الغِلالِ ، وخَصَّصْنا أُخْرى لِتَرْبِيَةِ الحَيَواناتِ فَزادَتْ عَدَدًا وكَبُرَتْ حَجْمًا. وكَثيرًا ما كانَتْ حَيَواناتُنا تَتَعَرَّضُ لِهَجَماتِ الحَيَواناتِ البَرِّيَّةِ ، فَكانَ عَلَيْنا أَنْ نَخْرُجَ بَيْنَ وَقْتٍ وآخَرَ فَنُطارِدَ الحَيَواناتِ المُهاجِمَةَ ونَقْضِيَ عَلَيْها ونُعيدَ حَيَواناتِنا الشّارِدَةَ.

ولَمّا كانَ أَوْلادي قد بَلَغوا سِنَّ الشَّبابِ فَقَدْ أَصْبَحوا يَخْرُجونَ في جَوْلاتِهِمْ ، غالِبًا ، دوني. وقَدْ رَكِبَ فِرِتْز ذاتَ يَوْمٍ زَوْرَقَهُ الكاياكَ ، وانْطَلَقَ بِهِ في النَّهْرِ فاكْتَشَفَ دَغْلًا عَظيمًا غَنِيًّا بِالطُّيورِ المُلَوَّنَةِ والحَيَواناتِ. ورَأى قَطيعًا مِنَ الفِيَلَةِ كانَتْ مِنَ الضَّخامَةِ بِحَيْثُ يُمَزِّقُ الواحِدُ مِنْها الشَّجَرَةَ فَيُعَرِّيها مِنْ أَغْصانِها ، ثُمَّ يَنْتَزِعُ أَعْلاها ويَحْشوهُ كُلَّهُ في فَمِهِ. ورَأى كَذٰلِكَ نُمورًا تَخْطِرُ في الغابَةِ ، وأَفْراسَ نَهْرٍ تَشُقُّ المِياهَ مِنْ حَوْلِهِ وتُجْبِرُهُ عَلى الفِرارِ.

خَرَجَ فِرِتز في رِحْلَةٍ أُخرى يَسْتَكْشِفُ عَدَدًا مِنَ الجُزُرِ البادِيَةِ في الأُفُقِ. وعادَ إِلَيْنا وقَدْ مَلَأَ زَوْرَقَهُ بالفِراءِ. وأَخْرَجَ مِنَ الزَّوْرَقِ كيسًا فَتَحَهُ فإِذا هُوَ مَمْلوءٌ بِلآلِئَ كانَ قَدِ اسْتَخْرَجَها مِنْ مياهِ إِحْدى الجُزُرِ. وأَراني أَخيرًا خِرْقَةً مِنْ ثِيابٍ وَجَدَها مَرْبوطَةً في ساقِ طَيْرٍ مِنْ طُيورِ القَطْرَسِ حَطَّ عَلى زَوْرَقِهِ الصَّغيرِ.

كُتِبَ عَلى تِلْكَ الخِرْقَةِ ما يَأْتي: «النَّجْدَةَ! أَنْقِذوا بَحّارَ السَّفينَةِ الغارِقَةِ عَلى صَخْرَةِ الدُّخانِ.»

وكانَ فِرِتز قَدْ كَتَبَ كَلِمَةً ورَبَطَها في ساقِ الطّائِرِ قَبْلَ أَنْ يُرْسِلَهُ في الفَضاءِ. لا شَكَّ إِذًا، أَنَّ في مَكانٍ ما مِنْ هٰذِهِ البُقْعَةِ مِنَ العالَمِ بَحّارًا تَحَطَّمَتْ سَفينَتُهُ. ولَعَلَّه واحِدٌ مِنْ بَحّارَةِ السَّفينَةِ الَّتي تَحَطَّمَتْ بِنا.

أَعْدَدْنا لِحَمْلَةِ التَّفْتيشِ عَنِ البَحّارِ الضّائِعِ، ولِلْحُصولِ عَلى مَزيدٍ مِنَ الفِراءِ واللَّآلِئِ، إِعْدادًا دَقيقًا. وجَهَّزَ فِرِتز زَوْرَقَهُ بِمَقْعَدٍ ثانٍ لِيَكونَ لِلبَحّارِ الَّذي كانَ يَأْمُلُ أَنْ يُنْقِذَهُ. كَذٰلِكَ زَوَّدْنا الفُلْكَ بِكَمِّيَّةٍ كَبيرَةٍ مِنَ المُؤْنَةِ. وبَعْدَ أُسْبوعٍ أَخَذْنا كَلْبَيْنا مَعَنا وانْطَلَقْنا.

تَمَتَّعْنا أَيَّ تَمَتُّعٍ بِيَوْمِ الإِبْحارِ قَريبًا مِنْ شَواطِئِ الجُزُرِ والَّذي انْتَهى بِوُصولِنا، قُبَيْلَ الغَسَقِ، إِلى الخَليجِ الَّذي وَجَدَ فِرِتز فيهِ

حَقْلَ اللَّآلِئِ. نَزَلْنا إِلى الشّاطِئِ هُناكَ، وأَعْدَدْنا عَشاءً، ثُمَّ أَشْعَلْنا نارًا عَظيمَةً تُبْعِدُ عَنّا الحَيَواناتِ المُفْتَرِسَةَ. ثُمَّ عُدْنا إِلى فُلْكِنا لِنَنامَ.

اِسْتَيْقَظْنا في صَباحِ اليَوْمِ التّالي مُبَكِّرينَ وبادَرْنا إِلى جَمْعِ مَحارِ اللَّآلِئِ. تَرَكْنا المَحارَ عَلى الشّاطِئِ لِتَعْمَلَ الشَّمْسُ اللّافِحَةُ عَلى فَتْحِها. وكانَتِ اللَّآلِئُ المُسْتَخْرَجَةُ فَريدَةً، مَعَ أَنَّها لَمْ تَكُنْ، في حالَتِنا تِلْكَ، ذاتَ قيمَةٍ تُذْكَرُ. أَمّا إِذا أُتيحَ لَنا أَنْ نَعودَ إِلى بِلادِنا فَسَنَكونُ بِها أَثْرِياءَ.



أَشْعَلْنا عَلى الشّاطِئِ، في تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، نارًا عَظيمَةً وتَرَكْنا الكَلْبَيْنِ حَوْلَها وعُدْنا إلى فُلْكِنا. وكُنّا نُوشِكُ أَنْ نَنامَ حينَ اهْتَزَّتِ الغابَةُ بِزَئيرٍ مُخيفٍ. دَبَّ الذُّعْرُ في الكَلْبَيْنِ، وارْتَعْنا كُلُّنا. لَمْ نَكُنْ قَدْ سَمِعْنا مِنْ قَبْلُ مِثْلَ هٰذا الزَّئيرِ. ثُمَّ اقْتَرَبَ الزَّئيرُ مِنّا، وبَرَزَ مِنَ الغابَةِ أَسَدٌ هَصورٌ قَفَزَ إلى دائِرَةِ الضَّوْءِ حَوْلَ النّارِ.

لَمْ أَرَ مِنْ قَبْلُ أَسَدًا في ضَخامَتِهِ ولا في سَوْرَتِهِ. وقَدْ زادَتِ النّارُ مِنْ هِيجِهِ. فاقْتَرَبَ مِنْ مِياهِ الشّاطِئِ وتَحَفَّزَ لِلْقَفْزِ عَلَيْنا. فَجْأَةً، سَمِعْنا صَوْتَ عِيارٍ نارِيٍّ، ورَأَيْنا الأَسَدَ يَقْفِزُ في الهَواءِ ويَقَعُ عَلى الرِّمالِ مَيْتًا. لَقَدْ أَنْقَذَنا فِرِتْز!



لَمْ يَجِدِ النَّوْمُ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَبيلًا إلى عُيونِنا. وفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي انْطَلَقَ فِرِتْز وَحْدَهُ يَبْحَثُ عَنِ البَحّارِ الضّائِعِ. ولَمْ يَعُدْ ذٰلِكَ المَساءَ، ولا المَساءَ الَّذي بَعْدَهُ. اِنْتَظَرْنا يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ ثُمَّ انْطَلَقْنا نَبْحَثُ عَنْهُ

صَدَمَنا، بَعْدَ ساعَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، ما ظَنَنْتُ أَنَّهُ صَخْرَةٌ. فإذا هُوَ حوتٌ ارْتَدَّ عَلَيْنا مُهاجِمًا. أَطْلَقَ جاك قَذيفَةً مِنْ أَحَدِ المِدْفَعَيْنِ، فغاصَ الحوتُ في الماءِ، ثُمَّ عادَ إلى الظُّهورِ فأَطْلَقَ جاك قَذيفَةً ثانِيَةً، فغاصَ الحوتُ، هٰذِهِ المَرَّةَ، دونَ رَجْعَةٍ.

وبَيْنَما كانَ أَوْلادي في ساعَةٍ مِنْ ساعاتِ لَهْوِهِمْ، رَأى واحِدٌ مِنْهُم رَجُلًا غَريبَ الهَيْئَةِ في زَوْرَقٍ يَقْتَرِبُ مِنّا. ظَنَنّا أَنّا، أَخيرًا، نُواجِهُ رَجُلًا مُتَوَحِّشًا.



لَوَّحْتُ بِرايَةٍ بَيْضاءَ إشارَةَ السَّلامِ ، فَتَوَقَّفَ صاحِبُ الزَّوْرَقِ لَحْظَةً ثُمَّ أَسْرَعَ يُجَدِّفُ في اتِّجاهِ فُلْكِنا. لٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا مُتَوَحِّشًا ، كَما ظَنَنّا ، بَلْ كانَ فِرِتْز الَّذي مَرَّغَ وَجْهَهُ باللَّوْنِ الأَسْوَدِ وتَنَكَّرَ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّنا قَراصِنَةٌ وأَنَّهُ بِذٰلِكَ يُرْعِبُنا ويَجْعَلُنا نَنْجو بِأَنْفُسِنا هارِبينَ.

ودونَ أَنْ يَقولَ كَلِمَةً أُخْرى أَشارَ إِلَيْنا أَنْ نَتْبَعَهُ إِلى جَزيرَةٍ صَغيرَةٍ. فَتَبِعْناهُ ونَزَلْنا الشّاطِئَ ، فَرَأَيْنا بَيْنَ الأَشْجارِ كوخًا مَبْنِيًّا

مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ وأَغْصانِ الأَشْجارِ. أَسْرَعَ فِرِتْز إِلى داخِلِ الكوخِ وخَرَجَ مُمْسِكًا بِيَدِ صَبِيَّةٍ جَميلَةٍ.

كانَتْ تِلْكَ الصَّبِيَّةُ وَحْدَها النّاجِيَةَ مِنْ سَفينَةٍ تَحَطَّمَتْ وغَرِقَتْ بَعْدَ أَنْ تَعَرَّضَتْ لِلْعَواصِفِ أُسْبوعَيْنِ كامِلَيْنِ.

اِنْطَلَقْنا عَصْرَ ذٰلِكَ اليَوْمِ ، نَحْنُ والصَّبِيَّةُ ، عائِدينَ إِلى «نُزُلِ الصَّخْرَةِ» ، وتَوَقَّفْنا في خَليجِ اللَّآلِئِ لِقَضاءِ لَيْلَتِنا.

حَلَّ مَوْسِمُ أَمْطارٍ آخَرُ ومَضى. وذاتَ مَساءٍ كانَ جاك وفِرِتْز يُنَظِّفانِ اثْنَيْنِ مِنْ مَدافِعِنا ، وقَبْلَ أَنْ يُنْهِيا عَمَلَهُما أَطْلَقا قَذيفَتَيْنِ على سَبيلِ التَّجْرِبَةِ. وذَهِلْنا كُلُّنا بَعْدَ دَقيقَةٍ واحِدَةٍ لِسَماعِ أَصْواتِ قَذائِفَ ثَلاثٍ خَرَقَتْ صَمْتَ الفَضاءِ وجاءَتْ كَأَنَّها جَوابٌ على قَذيفَتَيْنا. نَظَرْنا في عُرْضِ البَحْرِ فَلَمْ نَرَ شَيْئًا ، فانْتَظَرْنا حَتّى طَلَعَ الصَّباحُ وأَطْلَقْنا قَذيفَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ. وكانَ الجَوابُ بَعْدَ دَقائِقَ سَبْعَ قَذائِفَ جاءَتْ تَهْدُرُ مِنْ وَراءِ الضَّبابِ.

رَكِبْنا أَنا وفِرِتْز زَوْرَقَ الكاياكِ ، وجَدَّفْنا حَوْلَ الشّاطِئِ ساعَةً مِنَ الزَّمَنِ. وأَخيرًا ، وَجَدْنا سَفينَةً ضَخْمَةً راسِيَةً في أَحَدِ الخُلْجانِ.

عُدْنا إلى «نُزُلِ الصَّخْرَةِ» نَحْمِلُ الأَخْبارَ، ورَكِبْنا كُلُّنا الفُلْكَ وأَبْحَرْنا في اتِّجاهِ السَّفينَةِ. دُهِشَ القُبْطانُ حينَ رَآنا، ورَحَّبَ بِنا عَلى مَتْنِ سَفينَتِهِ، ورَحَّبَ تَرْحيبًا حارًّا بِالصَّبِيَّةِ الَّتي كانَ يَعْرِفُ أَهْلَها. وعَرَضَ أَنْ يَأْخُذَنا جَميعًا إِلى بِلادِنا.

بَحَثَتِ الأُسْرَةُ طَويلًا في أَمْرِ العَوْدَةِ إِلى الوَطَنِ. كانَتِ الحَياةُ في «سْويسْرا الجَديدَةِ» حَياةً هادِئَةً رَضِيَّةً، وكانَ لَنا في تِلْكَ الجَزيرَةِ الواسِعَةِ قُطْعانٌ مِنَ الأَبْقارِ والأَغْنامِ وأَسْرابٌ مِنَ الطُّيورِ. فَقَرَّرْنا أَنا وزَوْجَتي البَقاءَ.

وتَرَكْنا لِأَوْلادِنا حُرِّيَّةَ الاِخْتِيارِ. فاخْتارَ إِرْنِسْت وجاك البَقاءَ.



أَمّا فْرانْسِس وفْرِتْز فَقَدِ اخْتارا العَوْدَةَ إِلى الوَطَنِ.

جاءَ قُبْطانُ السَّفينَةِ وبَحّارَتُها ورُكّابُها كُلُّهُمْ يَزورونَنا في جَزيرَتِنا فَأَحَبَّ ثَلاثَةٌ مِنَ المُسافِرينَ الجَزيرَةَ حُبًّا جَمًّا وقَرَّروا البَقاءَ مَعَنا فيها.

لَمْ يَنَمْ أَيٌّ مِنّا إِلّا لِمامًا في اللَّيْلَةِ الَّتي سَبَقَتْ رَحيلَ السَّفينَةِ.

وسَمِعْنا في الفَجْرِ صَوْتَ مِدْفَعٍ مِنْ مَدافِعِ السَّفينَةِ مُؤْذِنًا بِقُرْبِ الرَّحيلِ. وكانَ الوَداعُ بَيْنَنا وبَيْنَ فْرِتْز وفْرانْسِس والصَّبِيَّةِ وَداعًا مُؤَثِّرًا، ولَعَلَّهُ كانَ الوَداعَ الأَخيرَ.

وحينَ أَخَذَتِ السَّفينَةُ تَتَحَرَّكُ مِنْ «خَليجِ العِنايَةِ» صِحْنا كُلُّنا بِتَأَثُّرٍ عَميقٍ: «اللهُ مَعَكُمْ!»



تسعى **مكتبة لبنان** من خلال هذه السلسلة إلى تعريف الفتى العربي بروائع الأدب العالمي، وإعداده للدخول، فيما بعد، في عالم القصص الخالدة من بابه الواسع. إننا نعتقد أن من حق أبنائنا أن يكوّنوا فكرة صحيحة شاملة عن إنتاج القصص الذائعة الصيت في مختلف أصقاع الأرض.

على أننا نثق أن هذه القصص تصلح، بالشكل الذي نقدمها فيه، للكبار أيضًا. لأننا حرصنا على ألا ننتقص من جوهر الفكرة التي يقوم عليها العمل ومن بناء الشخصيات كما أرادها المؤلفون.

وحرصنا على المحافظة على عناوين الكتب الأصلية وكذلك على أسماء العلم والأماكن، كما وردت في الأصل، رغبة في إعطاء صورة حقيقية عن الجو العام للقصص، من حيث المكان والأوضاع الاجتماعية والأحداث التاريخية، وخدمة للهدف الذي نسعى إليه وهو تمهيد الطريق للتعرف إلى الأدب العالمي. على أننا تجنبنا الخوض في تفاصيل الأسماء التي لا تتعلق مباشرة بصلب الموضوع ولا تؤثر على سير الأحداث، وذلك لكي لا نربك القارئ العربي بأسماء ثانوية الأهمية، غريبة اللفظ قليلة التواتر.

وتمتاز هذه القصص كلها بأنها شديدة التشويق، وتقوم في غالبها على المغامرات المثيرة. وأكثر هذه القصص المختارة كُتبت أصلًا لترضي جمهور الشباب، وهي من هذه الناحية ترضي مشاعرهم ومبادئهم وحبهم للانطلاق واكتشاف المجهول.

إن هذه القصص جميعها، وإن تكن في غالبها تقوم على حب المغامرة، تتناول أصدق المشاعر الإنسانية، وتصور كفاح الإنسان لتحقيق مُثُله العليا دون أن يعبأ بالتضحيات.

وزُوّدت كتب السلسلة جميعها بمقدمات تعرّف بالمؤلف كما زُوّدت برسوم ملونة رائعة تضفي جوًّا من السحر على أحداث القصص، وتصوّر الخلفيات الاجتماعية والتاريخية أصدق تصوير.

في سلسلة كتب المطالعة الآن أكثر من ٢٥٠ كتابًا تتناول ألوانًا من الموضوعات تناسب مختلف الأعمار. اطلب البيان الخاص بها من:

مكتبة لبنان - ساحة رياض الصلح - بيروت

